شكلوا طلائع التحرير .. وأسسوا المقاومة الشعبية للمطالبة بالحرية

الشباب .. قادة الثورة .. ووقودها

ملف أعده / خالد النواري

* .. الشباب هم الضمير الحي للأمة وقلبها النابض والجيل الذي يحمل على عاتقه مشاعل التنوير ورسم ملامح الغد المشرق .. وشباب اليمن كانوا على قدر كبير من مسئولية وضع حد لمعاناة شعب. وكانوا صمام أمان تمكن من تحطيم أسطورة المستبدين والخروج من عباءة الحاكمين ومخالفتهم في الرأي المجافي للعقل والمنطق .. والبحث عن حلول تضمن الحياة الكريمة للشعب الذي تكبد تبعات ذلك الحكم الإمامي وما خلفه من تركة ثقيلة كان نتاجها الثالوث الرهيب (الفقر والجهل والمرض) الذي كان كافياً لأن يثور الشعب على واقعه المأساوي ويعمل جاهداً على طي مرحلة كانت حافلة بالمآسي والويلات.

لقد شكل الشباب الدرع الحصين والشرارة الملتهبة التي أشعلت فتيل الثورة وأحدثوا البركان الثائر ضد الإمامة المتخلفة ليساهموا في إحداث تغيير جذري في واقع الشعب اليمني الذي حطم القيود والأغلال وعانق شمس الحرية وطوى صفحة الماضي المؤلم الذي خلف شلالات من الدماء الطاهرة الزكية التي شكلت شاهد إثبات على حقبة مظلمة من الحكم الكهنوتي المستبد البغيض.

فقد كان الشباب طلائع التحرير والشعلة التي أنارت شعاع الحرية حينما قاموا برفع شعار التحرير والمطالبة بقيام الثورة والجمهورية ، وعملوا على توعية الشعب بأن الإمامة هي سبب تأخر اليمن في كل مجالات الحياة وتفشي الجهل والتخلف والمرض وأن الحكم الإمامي احتكر حق التعليم على أسر معينة دون غيرها من عامة الشعب.

وكان الشباب طليعة العمل الوطني في نضال الشعب اليمني، حيث تشكلت المقاومة الشعبية من الشباب والطلاب الذين انخرطوا في المقاومة الشعبية خلال المظاهرات والاعتصام انتصاراً للشعب اليمني المقهور من إمامة جاهلة واستعمار همجي .. وعمل الشباب على الاندماج مع القوات المسلحة والالتحاق معهم في السهول والجبال للذود عن الوطن وضمان الحرية والجمهورية لا سيما في ملحمة السبعين يوماً التي تم فيها دحر القوى الرجعية وإعلان انتصار الثورة الخالدة.

لقد شكلت الثورة المباركة موعداً للانطلاق الشبابي نحو الإعدام التي رواها الشهداء بدمائهم الزكية الطاهرة إلى واحات للمنافسة والتلاقي الخلاق بين المبدعين من شباب الوطن ، كما أصبحت سجون الإمامة منتديات للحوار الثقافي والفكري ومكتبات عامة يرتادها الباحثون عن العلم والمعرفة.

ولم يغامر الثوار الشباب في مواجهة الإمامة إلا بعد مرحلة من الإعداد والتخطيط المحكم بدءاً بمراحل التوعية الشعبية والاندماج مع زملائهم العسكريين في مختلف الفصائل التي أنشئت في عهد الإمامة ومروراً بإنشاء تنظيم الضباط الأحرار الذي شكل النواة الحقيقية لثورة ٢٦ سبتمبر ومن ثم ثورة الرابع عشر من أكتوبر المجيدتين.

وجاء تكوين تنظيم الضباط الأحرار من مجموعة من الطلاب الشباب الذين كانوا يتلقون تعليمهم في بعض المدارس التي كانت شحيحة جداً وكانت تقتصر على ثلاث أو أربع مدارس والمتمثلة في المدرسة العلمية التي كان الطلاب يتلقون فيها العلوم الشرعية ، والمدرسة الثانوية ، والمدرسة التحضيرية ، والمدرسة المتوسطة ، حيث كانت تستوعب تلك المدارس نحو (٥٠٠) طالب لكل مدرسة أغلبهم كانوا يقيمون في الأقسام الداخلية لتلك المدارس وهو الأمر الذي ساهم في خلق أجواء من الألفة والتعارف بين الطلاب الذين كانوا يستغلون أوقات الفراغ لمناقشة أوضاع البلاد والتطرق على ما يصل إليه من أخبار حول بعض الدول المجاورة والتي كانوا يستقونها من بعض الإذاعات العربية مثل راديو صوت العرب وكذلك بعض المنشورات والصحف التي كانت تصل إليهم وخاصة الصحف المصرية التي أسهمت في رفع مستوى الوعي لدى الطلاب خاصة بالجوانب المتعلقة بمفاهيم الحرية والحياة المدنية وحق العيش الكريم والحصول على مصادر دخل تكفل لهم ولأسرهم الحياة بعيداً عن المعاناة اليومية التي يواجهونها في سبيل توفير لقمة العيش.

أول مسيرة طلابية شبابية.

وبالتزامن مع العدوان الثلاثي الذي تعرضت له مصر فقد بدأت الحركة الطلابية في مدارس صنعاء أكثر زخماً وحيوية حينما تفاعل الطلاب مع ذلك الحدث ونظموا أول مسيرة طلابية تشهدها اليمن إلى أمام السفارة المصرية ، ولم تتوقف المسيرات الطلابية عند ذلك الحد حيث تواصلت الاعتصامات والمظاهرات والتي رافقتها أعمال قمعية من قبل الحكم الإمامي وتم الزج بعدد من الطلاب الشباب في السجون الحكام الذين لم يرق لهم تلك التصرفات الطلابية التي اعتبروها دخيلة على المجتمع اليمني.

100طالب في الكلية الحربية و50 في الطيران..

في تطور غير مسبوق للحركة الشبابية والطلابية التحق (١٠٠) طالب بالكلية الحربية لأول مرة حيث تلقى الطلاب العلوم العسكرية في الكلية الحربية وتدربوا على مختلف الأدوات والأسلحة الروسية التي حصل عليها الإمام من الاتحاد السوفيتي بوساطة من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ، وتخرج الطلاب على دفعتين ، الأولى أطلق عليها دفعة محمد مطهر زيد ، والدفعة الثانية سُميت دفعة علي عبدالمغني .. على اعتبار أنّهما الأولين على دفعتيهما.

كما تزامن مع تلك المرحلة تخرج أول دفعة من كلية الطيران والتي ضمت (٥٠) طالباً وعدداً من ضباط الشرطة الذين تم تأهيلهم بعدما تخرجوا من مدرسة الشرطة بتعز وكذلك عدد من ضباط الجيش في مختلف الوحدات العسكرية.

أولئك الطلاب الخريجون وإلى جانبهم عدد من ضباط الجيش والشرطة شكلوا ما عرف بتنظيم الضباط الأحرار الذي حمل على عاتقه مهمة التخطيط للثورة وتنفيذ المهام المطلوبة للقضاء على الحكم الملكي الإمامي وإعلان النظام الجمهوري.

الثورة..مهمة ليست بالسهلة..!

ولم تكن مهمة الضباط الأحرار بالسهلة حيث واجهوا العديد من الصعوبات والتي تمثلت في غياب نسبة الوعي لدى المواطنين والجهل بمفاهيم الثورة والحرية ، والخوف من أدوات القمع والتعسف والاضطهاد التي اتبعها الحكم الامامي ، فحرص التنظيم على سرية أنشطته وكانت اجتماعاتها قليلة ويتم عقدها سراً في بعض الثكنات العسكرية أو المنازل ، حيث كان الضباط يبحثون الأساليب الأكثر نجاحاً لانهاء حكم الإمام ومنها الحلول العسكرية .. وتوزع الضباط الأحرار على عدة قواعد تضم كل قاعدة (٣٠) ضابطاً وتتفرع القواعد إلى عدة خلايا سرية بحيث لا يزيد عدد أفراد الخلية عن خمسة ضباط ويرتبط رؤساء الخلايا بالقواعد عبر أمين سر التنظيم .. وبدأ التنظيم في التوسع واستقطاب الشباب من خلال توزيع استمارات الانتساب للتنظيم وكذلك استمارة تحتوي على أهداف الثورة ، وتم إنشاء فروع للتنظيم في تعز والحديدة وحجة وبعض المواقع الحساسة مثل قصر السلاح وحرس الإمام في دار البشائر .. ليتوج التنظيم جهوده الدؤوبة بإذكاء شرارة الثورة وتتويج مسار النضال الوطني وصولاً إلى تحقيق الثورة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م التي أنهت حقبة زمنية مظلمة حافلة بالقهر والظلم والحرمان.

واحدية الثورة

وللتأكيد على واحدية الثورة في شطري الوطن فقد كانت المعاناة واحدة والأهداف مشتركة ، حيث عاش الشطر الشمالي من الوطن تحت نظام العزلة والتخلف الإمامي الكهنوتي الذي عمق صراعات المنطقة وحروبها القبلية والدينية والطائفية وفرض سياج من الجهل والعزلة على المواطنين، وفي الشطر الجنوبي من الوطن احتل الاستعمار البريطاني مدينة عدن، وفرض هيمنته على بقية المناطق الجنوبية والشرقية، التي ظلت تعيش حالة التمزق والانقسام إلى أكثر من ٢٣ دويلة وسلطنة ومشيخة مجزأة ومتحاربة فيما بينها وصلت أجنحتها المتحاربة خلال عام ١٩٣٤م إلى حوالي ألفي جناح متحارب ، ونتيجة لهذه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع اليمني بشطريه باستثناء مدينة عدن التي شهدت نوعاً من الانتعاش خدمة لمصالح الاستعمار البريطاني فيها ، حيث كانت اليمن إحدى أكثر دول العالم عزلة وجموداً وتخلفاً حتى عشية قيام الثورة اليمنية المباركة.

وقد ذهب المئات من شباب وأبناء المحافظات الجنوبية والشرقية الى صنعاء طواعية ولكن بوعي حركهم الدعم اليمني الواحد والتحامهم بالرجال الاحرار وتوحيد النضال في ذلك الحين للدفاع عن ثورة ٢٦سبتمبر ومن ثم العودة بالدعم من قيادة ثورة ٢٦ سبتمبر المادي والمعنوي واحتضان معسكرات صالة والعرضي في محافظة تعز لاعمال التدريب للمناضلين الذين اتجهوا فيما بعد الى ردفان والضالع والحواشب العميقة لتجسد واحدية الثورة اليمنية ، وكان توحيد نضال اليمنيين كافياً لتأكيد واحدية ثورتي ٢٦ سبتمبر و١٤ اكتوبر المجيدتين .. وكان أول شهيد لثورة ١٤ اكتوبر المناضل الثائر راجح بن غالب لبوزة قد لاقى ربه شهيداً بعد ان عاد من مشاركته مع مجاميع كبيرة من رفاقه والشباب بعد ان خاضوا ملاحم للدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر .. وبالتالي فقد اختلطت دماء المناضلين والثوار من أبناء الوطن اليمني كافة.

ومن المناضلين الثوار الشباب أحد أبناء العواذل وهو الشهيد محمد سالم الدماني الذي خرج مع أخيه الشيخ عمر سالم الدماني في عام ١٩٥٩م الى محافظة البيضاء.. وهم يرددون:

نحن عرب واحنا من احرار اليمن .. لبيك ثم لبيك يا داعي دعيت

نحن عرب صنعاء وصنعاء القاهرة .. تاريخ بصوت الحرية من كل بيت.

ومن شهداء الثورة الشاعر الشهيد علي هيثم القفيش من أبناء المحافظات الجنوبية والذي كان من بين مستقبلي الزعيم جمال عبدالناصر في صنعاء بعد ثورة ٢٦ سبتمبر حيث حضر أكثر من ٥٠٠ فرد من ابناء المحافظات الجنوبية في مكان تواجده بصنعاء بدار الضيافة وألقى قصيدة مطلعها :

حيا لقائدنا وبونا كلنا.. ذي طلع الرايات في كل الشعوب

اليوم في صنعاء وبكرة في عدن .. با نخرج استعمار من ارض الجنوب.

وبعدها بيوم أعلن القائد العربي الراحل جمال عبدالناصر أمام الجماهير في تعز أن على العجوز الشمطاء (بريطانيا) أن تأخذ عصاها وترحل من عدن ، فتكاتف أبناء الشعب اليمني كافة وتفجرت ثورة ١٤ أكتوبر المجيدة من قمم جبال ردفان وتحقق الاستقلال الوطني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

وشكل الدفاع المستميت للأحرار اليمنيين عن ثورتين في آن واحد أكبر التحديات التي واجهها صناع الثورات وهنا يتجلى سبب طلب بعض القوى المناهضة للثورة اليمنية من بريطانيا تأجيل رحيلها من جنوب الوطن، وذلك حتى يتم القضاء على ثورة سبتمبر واجهاضها وبعد ذلك تستطيع بريطانيا أن تحقق ما تريده في جنوب الوطن .. وبالتالي فإن قيمة انتصار ثورة ١٤ أكتوبر لم يكن فقط على القوى المناهضة لها وانما في ما حملته من رؤى وقيم ومعان وإرادة لكل إبناء اليمن ولعل أبرز انتصاراتها يتمثل في قدرتها على توحيد ٢٢ مشيخة وسلطنة في إطار سياسي واحد، ثم انتقلت انتصارات هذه الثورة من الوحدة الصغرى إلى الوحدة الكبرى هدف ثورتي سبتمبر وأكتوبر ليتحقق حلم جيل طويل من المناضلين في ٢٢ مايو ١٩٩٠م.

ولم تكن ثورة أكتوبر المجيدة فعلاً عابراً أو أهدافاً حققت ذاتها، وإنما هي تجدد يومي في كل المجالات، واستلهام لكل المعاني النبيلة التي قدمتها حركة الاحرار اليمنيين في شمال وجنوب الوطن، تلك الثورة التي مثلت روح الانتصار للإرادة اليمنية وجسدت معاني الاصطفاف الوطني وإعلاء الولاء للأمة اليمنية.

■ ثالوث (الفقر والجهل والمرض) واقع استفز الشباب .. وحرك الطاقات لطي مرحلة الحرمان

العيد الخمسون لثورة سبتمبر الخالدة ..
لنبتن يمناً جديداً يخلو من سلبيات الماضي ومنغصاته.